بضع كلمات للحديث عن فراس

ينهلّ صوتك والاغاني مطفأه
والعابرون تأخروا
فالدرب ملغوم ، وخلف الباب موت
قالت لهم ريح البلاد : ألا احذروا
فتعثروا
والصمت شارك في سيول الدم ،
أعرف أن تحت الظل كان الآخرون
يدخنون
ويرقبون
في نشرة الاخبار ــ مع زوجاتهم ــ موتي
وهم يتسامرون .
ينهلّ صوتك والنساء لبسن أثواب الحداد
وانا خبرت من الزمان المر هذا أسوأه
هلكت جمال قبيلتي
لم يسأل الوالي (١)
ومزق جنده كتبي ، وأنت تسائلين !
عن سر هذا الحزن في عينيّ .
عن شعري المشعث ، عن مشاوير المساء
والحارس الليلي أيضا ،
لا يكف عن السؤال .

صمت يرافقني ،
شوارع ذلك البلد البعيد معي ،
وليس بهذه الطرقات من أحد .
وأنا اضم فراس ..
(آه فراس يأكل قلبنا هذا البعاد
ويعيد لي حزني الجميل ،
وزهرة الحلم المهاجر والبكاء)
وتعاتبين ، وأنت لا تدرين ما يفري الفؤاد
هذا شتاء آخر قد فاجأه
ينهلّ صوتك ، والاغاني مطفأه

محمد القيسي

---

(١) أثر عن عمر بن الخطاب انه قال :« لو هلك جمل بشط العرب ضياعا لخشيت أن يسألني الله عنه . » وفي عمان لم يهلك الا عشرون ألف فلسطيني فقط أيها الشعراء !

سمع صوت ورده :

ــ أبي . عد الى البلدة .

أوشك ان يقول لها ما يسمع ، خجل ، ستتمسك بها ، وهي لم تسمع ، بل لعلها سمعت .

ــ أتسمعين ؟

ــ ماذا ؟ من ؟ المارد ؟ هل سمعته ؟

ــ لا . لا تخافي . لا شيء .

استدار نحوها . أحاطها بساعده ، فنفضتها عنها ، وابتعدت ، تضاحك بأقل قدر ممكن ، ينبغي أن يظل الاب على حزنه .

ــ لا تغضبي . سأنهض ، وأحمل ما في البيت ، الى بيتنا القديم.

ــ والناس ؟

وجم ، تمنى لو لم تقل ذلك . ابتلع غصة ، وقال :

ــ ما شأني بهم . نعود من بيتنا الى بيتنا .

دافع الفرح في نفسها الحزن . وعلا الموج . راحت تفتح النوافذ تهب التراب من على الجدران . تمحو خيوط العنكبوت . تجلس مع الجارات ، تنقي الحصى من الارز ، تعد الغداء لطه حين يعود من الارض ، غلبها الفرح ، ووجهها متجهم ، حزينا ما يزال ، استدارت اليه . لفحته أنفاسها .

« ماذا تريد ؟ » .

أحاطته بساعديها ، وساقيها ، ودست ثدييها في صدره . نبح الكلب . قال :

ــ هيا بنا .

ــ في الصباح . سنفعل .

تدافع الدفء بينهما ، وفوقهما ، حتى غمرهما ، كمياه النهر ، وفيظ الظهيره ، وسرت في جسدها رعشة ، غارت منها . توشك ، لولا الحزن ، وطه ، وجلال الموت ، أن تضحك . وراحت أنفاسها تعلو وتهبط . وسمعت بجوارها صوت وردة ، تتظاهر بالنوم ، تتنفس .

(القاهرة) **سليمان فياض**